مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية
ISSN 2602-6201
عدد خاص مارس 2020، ص94– ص 108

الأساليب البلاغية والروابط الحجاجية من خلال كتاب "البُرصان والعُرجان والعُميان والحُولان" للجاحظ(ت255هـ)

Rhetorical styles and argumentative coordinations through the book of eldjahidh « lépreux and cripples and aveuglers and squints »

حاج هني محمد[1] روقاب جميلة
جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف، mohamedhadjhenni@gmail.com
جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف، d.rougab@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2020/01/15 تاريخ القبول: 2020/02/26 تاريخ النشر: 2020/03/22

ملخص: تتعرّض هذه الورقة البحثية إلى تحليل الأساليب اللغوية البلاغية والأدوات والروابط الحجاجية الموظّفة في البرصان والعرجان والعميان والحولان الذي يبرز فيه الجانب الإنساني للجاحظ، وحججه بأساليبه المقنعة في الدفاع عن أصحاب العاهات والتشوهات الخلقية وبيان تفوقهم في العلم والمعرفة، ومنطلق الأمر في قضية الحال أنّ مسألة استفادة الصناعة الأدبية من نتائج الدرس البلاغي الحديث، مستندين في ذلك إلى أدوات وإجراءات التداولية كمقاربة نصية والوقوف على الأبعاد النفسية لبيان صلة الرحم العلمية بين الأدب الجاحظي وعلم النفس الاجتماعي والبلاغة الجديدة (الحجاج)من خلال مؤلفه عينة الدراسة.

كلمات مفتاحية: البلاغة؛ الروابط الحجاجية؛ مقاربة تداولية؛ الجاحظ.

Abstract: This research paper analysis rhetorical of the linguistic methods, tools and arguments coordination Anne used in the Leper and blind and cripple and Cockeyed book of that highlight the human side of bigeye and arguments to the methods of defence of persons with disabilities and anomalies congenital persuasive in the eyes and indicate their superiority in scientific knowledge and spirit. In the case of the case to question the benefit of the industry of the literature according to the results of the lesson of modern rhetoric, arguing that pragmatic's procedures and tools as a textual approach and a stand on the psychological dimensions of the statement of kinship between eldjahidh's of the scientific literature and social psychology and the new rhetoric (argument) by the sample of the study author.

Keywords: arguments coordination, pragmatic's approach, el djahidh

[1] – **المؤلف المرسل**: حاج هني محمد، **الإيميل**: mohamedhadjhenni@gmail.com

مقدمة:

ركزت الأبحاث البلاغية القديمة على فروعها الثلاثة المعاني والبديع والبيان، لتأتي بعدها البلاغة الجديدة التي تمكنت من الانفتاح على الحقول المعرفية الأخرى فانبثقت عنها نظريات لغوية لا تقلّ شأوا عن نظرية النظم أو نظرية قوانين الخطاب، وكان الحجاج هو القاسم المشترك بين البلاغة العربية القديمة والبلاغة الجديدة، وفي هذه الورقة البحثية نروم تسليط الضوء على جهبذ من جهابذة البلاغة وأسطون من أساطين البيان، للوقوف على الجانب الإنساني في شخصيته وبيان صلة الرحم العلمية بين الأدب وعلم النفس الاجتماعي والبلاغة الجديدة (الحجاج)من خلال قراءة وصفية تحليلية لنماذج مختارة من مؤلّف الجاحظ (البرصان والعرجان والعميان والحولان) كعينة للدراسة.

ويسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الإشكالية التالية:فيم تتجلّى جهود الجاحظ (ت255ه) في إثراء علوم اللغة العربية؟ ويتشقّق عنها عدد من الأسئلة، منها:

- ما طبيعة الأساليب البلاغية والروابط الحجاجية المستعملة في كتاب الجاحظ(ت255ه)؟
- هل تستجيب لمتطلبات الخطاب الحجاجي التأثيري؟
- ما هو البعد الذي نستشفه في كتاب البُرصَان والعُرجَان والعُميان والحُولان للجاحظ (ت255ه)؟

1- الحجاج عتبات اصطلاحية:

تعددت تعاريف الحجاج (**Argumentation**) من حقل معرفي لآخر، وحسب العلوم التي يوظَف داخلها، أساسا أو عرضا، فهو يمثل تلك المراحل أو الخطوات التي يحاول بها الواحد أو الجماعة أن تقود المستمع إلى تبنّي موقف معيّن، وذلك بالاعتماد على تمثيلات ذهنيّة مجرّدة أو حسيّة ملموسة، أو على قضايا جازمة تهدف في الأساس إلى البرهنة على صلاحيّة رأي أو مشروعيته[1]، وبالتالي يمارسها مع الآخرين دفاعا عن أفكاره ومعتقداته، عارضا أو مفنّدا، محاورا أو مقنعا[2]، والحجاج بوصفه نمطا من أنماط الخطاب، يمكن تسميته بالخطاب

الإقناعي الذي يعرفه بوتون فيليب بأنّه" نشاط إنساني، يتخذ أوضاعاً تواصليةً متعددةً، ووسائل منتوعة، ويهدف إلى إقناع شخص، أو مستمع أو جمهور ما، بتبنّي موقف ما، أو مشاركة في رأي ما"[3].

ويفرّق ديكرو(**ducrot**) بين معنيين للفظ الحجاج، المعنى العادي والمعنى الفنّي الاصطلاحي؛ فالنوع الأول هو طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجحا فعّالا، وهذا معيار تحقق سمة الحجاجيّة، غير أنّه غير كافٍ؛ إذ يجب ألاّ تُهمل طبيعة السامع، ومدى القدرة على استخدام التقنيات الحجاجيّة في الإقناع، في حين يدلّ المعنى الثاني على صنف مخصوص من العلاقات المودَعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، وتكمن الخاصيّة الأساسية للعلاقة الحجاجية في كونها متدرجة وقابلة للقياس[4].

وليس بخفيّ على أحد، أنّ أهل الاختصاص قد أعطوا للخطاب الحجاجي بعداً تداوليّاً متميّزاً، لتصبح الغاية منه؛ جعل العقول تذعن لما يُطرح، وتقوية درجة الإذعان لدى السامعين بشكل يجعلهم مهيّئِين للقيام بذلك العمل المطلوب في اللحظة المناسبة[5]، بيد أنّ الأمر يصبح أكثر وضوحا عندما يكون السؤال الطروح هو:

ما هي وجوه التمايز والتداخل والتشابه بين الحجاج ومفردات أسرته المفهومية؟

2- الحجاج ومرادفاته الدلالية:

من المصطلحات المقارِبة دلاليّا للفظ الحجاج؛ البرهنة (**Démonstration**) أو الاستدلال المنطقي، فكلاهما يحمل مفهوما يختلف عن الآخر، فلفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق قضية أو إثبات شيء ما، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقيّة[6]، وعليه فالخطاب الطبيعي ليس بالضرورة خطابا برهانيّا، فهو لا يقدم براهين أو أدلّة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي[7]، في حين يدل الاستدلال أو ما يصطلح عليه بـ (**Raisonnement**)، أنّ هناك الحجّة التي " تعتبر شيئا مختلفا تماما عن الاستدلال أو البرهان "[8]، فضلا عن الإقناع والجدل والسّجال.

3- خصائصه

يتميّز الحجاج بعدّة خصائص، من ضمنها:

- الحجاج ظاهرة اجتماعية: فهو يضمّ عدّة أشخاص منتجين له أوّلا ومتقبلين له ثانيا.

- الحجاج وجود فكري فعلي: يتجه نحو الممارسة الآلية وتتحكم فيه معطيات المجابهة والمدافعة قدر الإمكان؛ لأنّه عملية تسعى إلى خلق التأثير في الآخرين.

- الحجاج فعل عقلي:

لأنه يتضمن التبرير والتعليل، كما يستخدم البرهنة لصالح الفكرة التي يدافع عنها بطريقة لا تنمّ عن قوّة أو إكراه.

- الحجاج نشاط لساني:

لا يتمّ إلاّ باللغة وداخلها سواء اعتبرت اللغة وسيلة أو هدفا، وسواء كانت لغة ثابتة(جملا ونصوصا) أو متغيّرة أقوال وتعابير[9].

يترتب على السالف ذكره، أنّ الحجاج ذو طابع اجتماعي يتّم بالطابع التأثيري، تتنازعه الأفعال العقلية واللسانية، وتسود فيه الحركية والنشاط ذهنيّا وبيولوجيّا، فهو بحق يؤسس مجالا تداوليّا.

4- أنواعه:

يمكن حصر الخطاب الحجاجي في ثلاثة أنواع هي: الحجاج البلاغي، الحجاج المنطقي، والحجاج التداولي، وتختلف هذه الخطابات باختلاف أصولها وامتداداتها المعرفية والمنهجيَّة، لكن ذلك لا يمنع من تداخلها:

أ- الحجاج البلاغي:

تعدّ البلاغة آلية من آليات الحجاج، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الجمالية؛ أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره

ومشاعره معاً حتَّى يتقبلّ القضيّة أو الفعل موضوع الخطاب، ويتميز الحجاج عند **بيرلمان (Perleman)** بخمسة ملامح رئيسية، هي:

1- أن يتوجه إلى مستمع.

2- أن يعبّر عنه بلغة طبيعيَّة.

3- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

4- لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5- ليست نتائجه ملزمة[10]، وبالتَّالي فالحجاج عبارة عن تصوُّر معيَّن لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصَّة بكلّ من المحاجج والمقام الذي يتولد فيه هذا الخطاب، وهذه الخصائص والصُّور البلاغية المحورية التي تبنَّاها الخطاب الحجاجي ولا سيما الأدبي منه، لأنها تنشط الخطاب بهدف تحقيق وظيفة إقناعية.

ب- **الحجاج المنطقي:**

إذ الحجاج له بُعدٌ جوهريّ في الفلسفة، وهو آلية وإجرائية من إجرائياتها، وتقاس صلاحية الحجاج الفلسفي بمعايير خارجية، منها: القوة والضعف، الكفاءة وعدمها، النجاح أو الفشل في الإقناع، وغايته: التأثير والتقبُّل.

ج- **الحجاج التداولي:**

ويبعث لفظ التداولية على استحضار"نظرية أفعال الكلام"كون الأفعال الكلامية غرضا رئيسا للتداولية[11]،ورصدها بتنوّعها وعلى اختلاف الأبعاد التداولية المتعدّدة المستويات التي يتيح تحققها إمكانية معرفة توجّه الخطاب الحجاجي التَّداوليّ، والإجابة عن الإشكاليات الجوهرية والأسئلة المهمَّة التي تحيط بعملية التَّخاطب (الشفهي أو الكتابي).كما تعدّ الحوارية من أهم مستويات تجليّ البُعد التداوليّ للخطاب الحجاجيّ، وهي العلاقة التخاطبيَّة بين المُخَاطِب والمُخاطَب، والتي تتغيّر وتتنوَّع فيها الأداءات في ظاهرتي:

التشخيص: ويتجسد في خاصّية تلفظية تتميّز بحدَّة العلاقة الخطابية مع الشريك.

المقام: هو مفهوم تجريدي يدل على الموقف التواصليّ، وتلتقي فيه جميع العناصر الحجاجيّة من قدرات برهانية، وحقائق فعلية، وقرائن بلاغية، والمقام شرط تداولي بلاغي؛ لأنّه يُعنى بضرورة موافقة أفعال القول لمقتضى الحال والموقف الخاص به،وهذا ما يذهب إليه **الجاحظ** حينما يقول:"**مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع**"[12]، فالأمر يتعلق أساساً بإيضاح المعنى القائم في النّفس حتّى يدركه الآخر، وهذا انطلاقا من الوظيفة الأولى للغة، وهي التواصل وكشف الكامن في الصدور.

5- علاقة البلاغة بالحجاج:

لقد استطاع البلاغيون إدراك الفاعلية اللغوية والنفسية بين البلاغة ومباحثها والحجاج وآلياته المتصلة بالسلوك الإنساني، فأساليب الحجاج في البلاغة العربية تتجلّى من خلال المذهب الكلامي الذي "يعدّ الباب الذي ختم به **ابن المعتزّ** (ت 296ه) أبواب البديع الخمسة التي خصّها بهذا الاسم، قال: "وهو مذهب سمّاه **عمرو الجاحظ(ت255ه)** المذهب الكلامي، وهذا باب ما أعلم أنّي وجدت في القرآن منه شيئا، وهو ينسب إلى التكلّف تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا"[13].

لقد اعترف **ابن المعتزّ**(ت 296ه) بأنّه أخذ هذا المصطلح عن **الجاحظ (ت255ه)**، ولكنّه لم يحدده، والظاهر أنّه يريد به استخدام أساليب الفلاسفة والمتكلمين في الجدل والاحتجاج.

6- أهمية الأساليب البلاغية والروابط اللغوية في الحجاج:

أ- الروابط الحجاجية:

يراد بها جملة من الأدوات توفرها اللغة، ويستغلها الباث ليربط بين مفاصل الكلام، ويصل بين أجزائه فتتأسس عندها العلاقة الحجاجية المقصودة التي يراها مؤسس الخطاب

ضرورية، كروابط الوصل وروابط الفصل، إنّ وأنّ، اللام الجارة، كي، لكنّ، المفعول لأجله،...الخ[14]. ومعنى الرابط لا يكتمل إلاّ مع اسم أو فعل يصحبه، ثمّ إنّ معرفة هذا المعنى تمكن المتكلّم من اختيار ما يناسبه في الخطاب.

وهنا لابدّ من التمييز بين الروابط النحوية، والروابط الحجاجية، وقد عمل الجاحظ على توظيف مؤشرات وروابط لغوية ساعدت على تنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج عن طريق التركيب الذي استعمله الجاحظ في ربط أجزاء نصوص كتابه (موضوع الدراسة) عبر روابط نحوية، وأخرى حجاجية نحو: (بل، لكن، حتّى الناصبة، والجارة والعاطفة، إنّما...)، وكي والوصل السببي، والمفعول لأجله...الخ. وتقوم بالربط بين قولين فأكثر، ضمن هدف إقناعي واحد، ولكلّ رابطة سمة حجاجية تداولية يمكن ضبطها أثناء الاستعمال[15].وهذا ما سنميط اللّثام عنه في هذه المقتطفات المختارة من كتابه.

ب- **العوامل الحجاجية:**

"العامل الحجاجي هو صرفة تحوّل الاحتمالات الحجاجية للمضمون المطبقة عليه، وتمدّ العبارات المتغيرة بإمكانية استعمالها لغايات حجاجية، حيث تتقيّد الجملة بعده ويتمّ الإسناد فيها لبعض الأساليب البلاغية كالحصر، والتأكيد، والاستثناء، والنفي والشرط وغيرها"[16].

هناك فرق بين العوامل والروابط الحجاجية، فالروابط" تربط بين قولين أو حجتين أو أكثر، وتسند لكلّ قول دورا جديدا داخل الاسترتيجية الحجاجية، ويمكن التمثيل لها بالأدوات النحوية (بل، لكن، حتّى، لاسيما، إذن، بما، أن، إذ" [17] وغيرها من الأدوات المنوّعة. بينما العوامل الحجاجية لا تربط بين الأقوال والحجج، وإنّما " تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما؛ أي ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد وتضمّ مقولة العوامل من قبيل (ربّما، تقريبا، كاد، قليلا، ما، إلاّ، جلّ أدوات التقصير)"[18]؛ أي يمكن القول إنّ العوامل تتضمن أحكاما في ذاتها، أي تختص بمحمول واحد، أمّا الروابط فهي أدوات تعمل على صناعة هذه الأحكام التي منها تتأسس البنى الحجاجية[19].

7- البرصان والعرجان والعميان والحولان خطاب حجاجي (نماذج مختارة):

اجتهد **الجاحظ (ت255هـ)** في إقناع القارئ - لهذا الكتاب- ليشاركه وجهة نظره، فعرف كيف يستنجد بالأحاسيس والعقول، ليدحض المناقضين له في الوقت نفسه، وليظهر نواقصهم في الحجج أو ليبيّن ضعفها من خلال اعتماده على نتف شعرية وآيات قرآنية وأحاديث وغيرها من الشواهد اللغوية المقنعة، فلم يجعل الجاحظ هدفه الأساس هو السخرية من البرصان والعميان والعرجان والحولان كما هو معروف عن بعض أدبه، بل راح يستجلي أشكال العبثية الناجمة عن حجج خصومهم، لوضعهم في المأزق من خلال استعمال الصيغ المألوفة في الخطاب الحجاجي.

وجدير بالتنبه أنّ **الجاحظ** (ت255هـ) قد سبق وأن أشار إليه في كتابه الشهير (البيان والتبيين) حين قال: "احتجنا إلى أن نذكر ارتفاق بعض الشعراء من العرجان بالعصيّ منذ ذكرنا العصا وتصرفها في المنافع، والذي نحن ذاكروه من ذلك
في هذا الموضع قليل من كثير ما ذكرناه في كتاب العرجان"[20].

وعن منهج الكتاب يقول المحقق عبد السلام محمد هارون: " الكتاب كما يبدو مفصّل الأبواب، واضح التقسيم والتبويب، ولكنّنا لا نجد فيه قولا شافيا في جانب العميان والحولان، طبق ما هو مثبت في عنوانه المدوّن على وجهه على حين نجد إضافات مسهبة للكتاب في ذكر عاهات لم ينص عليها في العنوان، كالحدب، والوُقص[21]، الأُدران[22]، والمفاليج[23]، والأشجين، ومن أصابته اللَّقوة[24] واعوجاج الوجه، وذوي الأعضاء المرغوب عنها لشبهها بالحيوان، ومن سُقي بطنه، ومن قتلته الصواعق والرياح، وصغار الرءوس وكبارها، والكلام في الأعناق، والصلع والقرّع وذوي الجمم، والأعين[25] والأضبط[26] والأعسر"[27].

يقول **الجاحظ(255هـ)** في كتابه:" والعُرج الأشراف- أبقاك اللّه- كثير. والعُمي الأشراف أكثر، ولكن ما معناه في أنّ أبا فلان كان أعمى إن لم يكن إنّما اجتلب ذكر العرج والعمي ليحصل ذاك سببا إلى قصص في أولئك العرجان، وإلى فوائد أخبار في أولئك العميان، وإلى أنّ

جماعة فيهم كانوا يبلغون مع العرج ما لا يبلغه عامّة الأصحّاء، ومع العمى يدركون ما لا يدرك أكثر البصراء، ولما جاء أيضا في ذلك من الأشعار المصحّحة، ومن الأمثال المضروبة، وكيف تهاجوا بذلك وتمادحوا به، وكيف جزع من جزع وصبر من صبر، وما رووا في ذلك من الأخبار النافعة والأحاديث السائرة، واللفظ المونق والمعنى المتحيّر، وكيف تبيّن ذلك النقص وظهر ذلك الخلل على بعض ولم يتبيّن على بعض"[28].

8- **التحليل**:

لقد نوّع **الجاحظ** من الروابط والعوامل الحجاجية في هذا النص المقتطف من كتابه، حيث وظّف روابط الوصل التشريكي أو ما يسميها علماء البلاغة بأدوات الوصل والفصل، لتفيد إشراك الثاني في الأوّل؛ بمعنى إشراك العميان في العرجان في مرتبة الأشراف هذا عندما يقول **الجاحظ**:"والعرج الأشراف –أبقاك الله- كثير، والعمي الأشراف أكثر". وإن لم يكن للجملة الاعتراضية- أبقاك الله- وظيفة نحوية باعتبارها جملة لا محل لها من الإعراب؛ لكنها تؤدي وظيفة تداولية بلاغية تفيد الدعاء بالخير لمن يشاطر **الجاحظ** (ت255هـ) رأيه في من وصفهم بالأشراف.

ومع وجود روابط وصل أخرى (أن وإنّ) وظيفتهما في النص التأكيد والتحقيق، فهي في رأي النحاة والبلاغيين "تؤكد ما بعدها وتحققه"[29]، ومن ذلك إن وأنّ مثل قول الجاحظ:" ولكن...أنّ أبا فلان كان أعمى إن لم يكن إنّما اجتلب ذكر العرج والعمي ليحصل ذاك سببا إلى قصص في أولئك العرجان"، وهذا التوجه نحو النتيجة المضادة بعد **لكن** ؛ جعل الحجة أقوى قياساً لما قبلها ، ولا شك في أن (النفي والاستفهام) الذي استخدمه الجاحظ كان له الدور الكبير في الإقناع فهو يؤدي وظيفة نفسية في الوقت ذاته مستهدفاً نفس المخاطب وانفعاله.

لم يشأ **الجاحظ (ت 255هـ)** لكتابه هذا أن يعدّد العيوب والعاهات نعيا على أربابها، بل قصد بذلك أن يبيّن للقارئ صورة مشرقة وجميلة لذوي العاهات الذين لم تكن عاهاتهم

لتحول بينهم وبين تسنّم الذرى، والمقتطف أعلاه كفيل بالردّ على كلّ من تسوّل له نفسه في النظر إلى هذه الشريحة من المجتمع نظرة ازدراء.

يحاول الجاحظ(ت255هـ) إثارة المتلقي بالمبالغة في الوصف، فيصوغ هذا المعنى في حجج مثلت أقوالا مجازية يمكن أن نمثلها في حديثه عن **العرجان**:" وما ضرّ- أكرمك الله- هرثمة بن أعين، ونصر بن شبثٍ

وغيرهما من الرؤساء المحاربين المقرَبين[30] الذي كان يمنعهم من المشي، إذ كانوا على ظهور الخيل أمثال العِقْبَان"[31].

الشرح:

براعة الجاحظ (ت255هـ) اللغوية وذكاؤه البلاغي جعلاه يقنع المتلقي بصورة خيالة رسمت في لوح باله، لتضفي على حجيته جمالا وبلاغة في الوصف توهم المستمع وتخاتل نفسه، كيف لا وهو الذي وصف الفارس الأعرج بالعقاب. حين قال: "...إذ كانوا على ظهور الخيال أمثال العقبان"، فهذه الصورة البيانية كان لها سحرها الأدبي وأثرها الإقناعي، ولها أيضا بعدها الإنساني وهو التعاطف والتآزر مع هؤلاء الفئة ممن نالت بعض العاهات والتشوهات ولكنّها لم تثبط من شجاعتهم وإرادتهم في الحياة.

وقال **الجاحظ** (ت 255هـ)عن العميان: "فأمّا من فخر بالعمى فمنهم بشار بن برد، وكنيته أبو معاذ، ولقبه المرغَّث مولى لبني عُقيل، وهو الذي يقول:

إذَا وُلِدَ المَولُودُ أَعْمَى وَجَدْتَهُ وَجَدِّك أَهْدَى مِنْ بَصِيرٍ وَأَحْوَلَا

عَمِيتُ جَنِينًا والذَّكاء من العمَى فَجِئْتُ عجيبَ الظَنِّ للعلمِ مَعْقِلاَ

وغَاضَ ضِياءُ العينِ للعلمِ رافدًا لقلبٍ إذا ما ضيَّعَ النَّاسُ حصَّلاَ"[32].

إنّ الصور البلاغية الموظّفة -(من تشبيه واستعارة ومجاز وغيرها)- تعدّ بمثابة كفايات الحجاجيّة زادت الخطاب الأدبي تأثيراً وإقناعاً، وهذا ما منح الخطاب فاعلية وقوّة، الأمر الذي جعل النص أكثر قبولاً وإقناعاً للمتلقي، فتمكن الجاحظ أن يغير من قناعات المتلقي ويوهمه

بمصدر قوة أقواله، فالنّص الحجاجي أعلاه " حوار مع المتلقي، حوار يقوم على علاقة ما بين مؤسس النص ومتلقيه وتبقى الخاصية التحاورية هامة وأساسية في تأكيد حجاجية النص؛ إذ تجعله بشكل ضمني أو صريح موضع رؤى متباينة متناقضة".[33] كما لا ننسى فاعلية التقديم والتأخير (وغاض ضياء العين –رافدٌ وهو الصواب- للعلم)، الذي خلق إيقاعا شعريّا في الخطاب الشعري، والتورية في كلمة (أحولا) الذي لا يراد بها الأحول، بل هي من الحيلة؛ أي صاحب الحيل فهو أحول، فهذا الخطاب الحجاجي فيه عوامل حجاجية تحمل الكثير من المعاني الدالة على الفخر والمدح والاعتزاز بالعمى في اعتباره نعمة من المولى لا نقمة على صاحبه.

خاتمة:

يتضح من النماذج المقتطفة من كتاب الجاحظ (ت255هـ) (البرصان والعرجان والعميان والحولان) إلاّ محاولة بسيطة، كشَف من خلالها الكاتب عن براعته اللغوية وامتلاكه ناصية في آليات الحجاج وإقناع الآخرين، من خلال توظيفه للروابط الحجاجية والأساليب البلاغية المختلفة، وفي الآن ذاته تتجلى القيمة الأخلاقية العظيمة في أبعادها الإنسانية والاجتماعية، وكأنّ بالجاحظ في كتابه هذا يعقد علاقة علمية بين بلاغة الحجاج وعلم النفس من خلال نظرته الإيجابية، والدفاع عن أصحاب العاهات والتشوّهات الخلقية مع بيان تفوقهم في العلم والمعرفة والأدب.

قائمة المراجع:

1- أبو بكر العزاوي، الحجاج والخطاب ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2010 .

2- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط:1، 1426هـ- 2006م.

3- بنعيسى أزاييط، مداخلات لسانيّة: مناهج ونماذج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، سلسلة دراسات وأبحاث رقم: 28، 2008م.

4- الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د ط، 2003م.

5- الجاحظ عمرو بن بحرو، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1410هـ - 1990م.

6- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، إربد، عمان الأردن، ط1، 1428هـ- 2008م.

7- شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، الحجاج في اللغة، دار الأحمدية، الدار البيضاء، ط1، 2007م.

8- صابر الحباشة، التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، ط:1، 2008م.

9- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، دط.

10-فريق بحث البلاغة والحجاج، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1998م.

11-فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر الجامعي، جامعة الملك عبد العزيز، جدّة، ط:1، 1432هـ- 2011م.

12-فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط:1، 2007م.

13-مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم أنيس وآخرون)، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، المجلد1، ط4، 2004م، مصر.

14-محمد الواسطي، أساليب الحجاج في البلاغة العربية، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط2010م.

15-محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، العدد 2، يناير-مارس 2000.

16-محمد طوس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1426هـ- 2005م.

17-مريم الشنقيطي، الخطاب الإشهاري في النص الأدبي، دراسة تداولية، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ط1440هـ

18-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط:1، 2005م.

19-ابن منظور، لسان العرب دار صادر ، بيروت، دط.

20-مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1406هـ-1987م.

21-يوسف حتّي، قاموس حتي الطبي الجديد، مكتبة لبنان ناشرون، ط2002.

22- Ducrot O, Les échèles argumentatives, Minuit, Paris, 1980.

23- Philippe Breton : L'argumentation dans la communication, Edition du CASBAH, Alger, Janvier 1998.

الهوامش:

1- ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط:1، 2007م، ص:82 وما بعدها.

2- ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر الجامعي، جامعة الملك عبد العزيز، جدّة، ط:1، 1432هـ- 2011م، ص:13.

3 - Voir : Philippe Breton : L'argumentation dans la communication, Edition du CASBAH, Alger, Janvier 1998, p :3.

4- ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، ط:1، 2008م، ص:21.

5- ينظر: شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن كتاب: أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم فريق بحث البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1998م، ص:352.

6- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط:1، 1426هـ- 2006م، ص:15.

7 -Voir :Ducrot O, Les échèles argumentatives, Minuit, Paris, 1980, P :10-11.

8- فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، ص:13.

9- ينظر: بنعيسى أزاييط، مداخلات لسانيّة: مناهج ونماذج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، سلسلة دراسات وأبحاث رقم: 28، 2008م، ص:79-80.

10- ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، العدد 2، يناير-مارس 2000، ص:61.

11- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط:1، 2005م، ص: 40 وما بعدها.

12- الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د ط، 2003م، ج:1، ص: 56.

13- ابن المعتزّ، كتاب البديع، تحقيق: كراتشفوفسكي، ص:53. نقلا عن محمد الواسطي، أساليب الحجاج في البلاغة العربية، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط2010م، ص:142.

14- ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، إربد، عمان الأردن، ط1، 1428هـ- 2008م، ص:318.

15- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، دط، ص:508.

16- محمد طوس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1426هـ- 2005م، ص:112.

17- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.

18- شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، الحجاج في اللغة، دار الأحمدية، الدار البيضاء، ط1، 2007م.ص.354

19- ينظر: مريم الشنقيطي، الخطاب الإشهاري في النص الأدبي، دراسة تداولية، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ط1440هـ، ص:74.

20- الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء3، ص:74. وقد استهل الجاحظ كتابه بالحديث على البرصان، ثمّ ثنى بالكلام على العرجان، وأفرد بابين للعميان والحولان، ولم يفصل بينهم، وجدير بالذكر ها هنا أنّ ابن المعتز هو الآخر أشار في مؤلفه الموسوم: طبقات الشعراء، وتلاه الثعالبي النيسابوري في كتابه ثمار القلوب، ليأتي الدور على المرتضى في أماليه أين نسب كتاب البرصان والعرجان ...إلى صاحبه الجاحظ.

21- الوقص: من قصرت عنقه خلقة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم أنيس وآخرون)، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، المجلد1، ط4، 2004م، مصر، ص:467.

22- الأدران: الدرن هو السلّ؛ مرض جرثومي معد له أنواع يصيب الرئة والعظام وغيرها، (إبراهيم أنيس وآخرون)، المعجم الوسيط ، ص:46.

23- المفاليج: رجل مفلوج؛ أي فالج ومعناه الشلل الداء الذي يبطل إحساس البدن وحركته، ينظر: يوسف حتّي، قاموس حتي الطبي الجديد، مكتبة لبنان ناشرون، ط2002، ص: 101،

24- اللقوة: شلل العصب الوجهي أو الشلل الوجهي، ينظر: يوسف حتّي، قاموس حتي الطبي الجديد، ص:307.

25- الأعين: من اتسعت عيناه. ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم أنيس وآخرون)، ص:51.

26 -الأضبط: من يعمل بكلتا يديه اليمنى واليسرى، ينظر: ابن منظور، لسان العرب دار صادر ، بيروت، دط، ص:1170.

27- الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1410هـ - 1990م، ص:14.

28- الجاحظ، المصدر نفسه، ص:35.

29- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1406هـ- 1987م، ص:317.

30- المقرب: عنى به المكرم المقرب، وأصله في الخيل المقربة التي تدني وتقرب وتكرم، الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، ص:45.

31- الجاحظ، المصدر نفسه، ص:45.

32- الجاحظ، المصدر نفسه، ص:48 وما بعدها.

33- ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج والخطاب، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2010 : 35.